الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

عنوان البحث:

نظرة لغوية في العلاقة بين الدعاء والعبادة- بين الحقيقة والادعاء

(دراسة في الكتاب المسمى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)

إعداد: د. فداء الدين نسيبة جميل صقر

أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الجامعة العالمية، بيروت، لبنان

noussayba@hotmail.com

ملخص البحث:

إن دين الإسلام قائم على شهادة أن لا إله إلا الله، وقد أرسل الله سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وسلم ءامرًا بتوحيد الله تبارك وتعالى، ناهيًا عن أن يُشرك معه غيره، ومحذرًا المخالفين مع إنذارهم بالعذاب الأليم، مبيِّنًا أن صور العبادة متعددة، يجمعها معنى واحد وهو أقصى غاية الخشوع والخضوع، ومن صرف شيئًا من ذلك لغير الله تعالى يكون قد ضيَّع أعظم حقوق الله على عباده، فوجب على العبد أن يُفرد الله بالعبادة ويجتنب كل ما كان شركًا، ومن فعل هذا ووحَّده تعالى فلا يجوز لأحد أن يرميه بالشرك. وقد ظهر قديمًا وحديثًا من قال إن من الشرك المنافي لتوحيد الله نداءُ ودعاءُ غيرِ الله تبارك وتعالى، وبنى على هذا أن من نادى فقال: "يا محمد" فقد أشرك. وبما أن مثل هذا النداء منتشر في بلاد المسلمين وصل بعض المخالفين إلى ادعاء "أن أكثر علماء الأمصار لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون"، ولا يخفى ما في هذا الاتهام من الخطورة والتكفير بغير حق. ومع أن العلماء تصدوا للرد على مثل هذا الكلام لكن لم أر من تكلم في نقض ادعاءِ بعضِهم التلازمَ والتضمنَ اللغويَّ بين الدعاء والعبادة، فكان البحث في هذا الموضوع، فبينت بمنهج استقرائي وصفي تحليلي معنى العبادة، ومعنى الدعاء، والمراد بدلالة الالتزام والتضمن، وأن مجرد الدعاء أي النداء لا يتضمن ولا يلزم منه العبادة. وقد ركز هذا البحث على المعاني اللغوية ودلالات الألفاظ، من غير الإطالة في ذكر الأدلة الشرعية من القرءان والحديث وشبه المخالفين، وخلص البحث إلى أنه لا وجه لتكفير من نادى غير الله ما لم ينضم إلى ندائه ما يعدّ عبادة، والتأكيد أنه لا بد من فهم اللغة لفهم الدين، وينبغي التقوي فيها دفاعًا عن الدين وصيانةً له من التحريف.

كلمات مفتاحية: النداء- الدعاء- العبادة- الدلالة- التضمن- الالتزام

A Linguistic Perspective on the Relationship between Supplication and Worship – Between Reality and Claim *(A Study of the Book Titled Fath al-Majid Sharh Kitab al-Tawhid)*

The religion of Islam is founded upon the testimony that there is no god but Allah. Allah sent our Master Muhammad ﷺ commanding the worship of Allah alone, forbidding that any partner be associated with Him, warning those who oppose this command of a painful punishment, and clarifying that the forms of worship are many, all of which share a unifying essence: the utmost degree of humility and submission.

Whoever directs any of this (worship) to other than Allah has violated the greatest of Allah's rights over His slaves. Thus, it is obligatory upon the slave to devote worship solely to Allah and to avoid all that constitutes shirk (polytheism).

Whoever does this and affirms the oneness of Allah, it is not permissible for anyone to accuse him of shirk. However, both in the past and present, there have appeared those who claim that calling upon or supplicating to anyone other than Allah the Exalted constitutes shirk that contradicts tawhid. Based on this, they assert that whoever says "O Muhammad" has committed shirk.

Since such forms of supplication are widespread in Muslim lands, some opponents have gone so far as to claim: "Most scholars of the lands do not know of tawhid except what the polytheists themselves acknowledged." The gravity and unjust takfir (accusation of disbelief) contained in such a claim is evident.

Although scholars have responded to this kind of discourse, I have not seen anyone address the refutation of the alleged necessary or inherent linguistic link between *duʿāʾ* (supplication) and *ʿibādah* (worship). Hence, I undertook this study to explore that issue.

Using an inductive, descriptive, and analytical methodology, I clarified the meaning of *ʿibādah*, the meaning of *duʿāʾ*, and the intended meanings of *dalālat al-iltizām* (implicative meaning) and *dalālat al-taḍammun* (included meaning), and demonstrated that *duʿāʾ* neither entails nor necessarily implies *ʿibādah*.

This study focused on the linguistic meanings and semantic implications of the relevant terms, without delving extensively into scriptural evidences from the Qur'an and Hadith or the objections of the opponents.

The study concluded that there is no basis for declaring someone a disbeliever merely for calling upon other than God, unless such invocation involves what qualifies as worship. It also emphasized that understanding the language is indispensable for understanding the religion, and that one must attain strength in it to defend the religion and safeguard it from distortion."

Keywords: invocation – supplication – worship – semantic implication – included meaning – implicative meaning

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى جميع إخوانه النبيين وءال كل وصحب كل الطيبين الطاهرين

وبعد فإن أوجب الواجبات توحيد الله تبارك وتعالى والإيمان به، ومقابل ذلك وهو الشرك والكفر هو الذنب الذي أخبر الله أنه لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

إشكالية البحث:

ستنحصر إشكالية بحثي في النقاط الآتية:

- ما معنى العبادة التي يكون من صرفها لغير الله مشركًا؟
- ما المراد بالدعاء الذي كان يفعله المشركون؟
- كيف يُفْرَق بين الدعاء الذي هو عبادة وما ليس عبادة؟

أهمية الموضوع:

إن دين الإسلام قائم على شهادة أن لا إله إلا الله، وقد أرسل الله سيدنا محمدًا صلّى الله عليه وسلم ءامرًا بتوحيد الله تبارك وتعالى، ناهيًا عن أن يُشرك معه غيره، ومحذرًا المخالفين مع إنذارهم بالعذاب الأليم، مبيِّنًا أن صور العبادة متعددة، يجمعها معنى واحد وهو أقصى غاية الخشوع والخضوع، فمن صرف شيئًا من ذلك لغير الله تعالى فقد ضيَّع أعظم حقوق الله على عباده، فوجب على العبد أن يُفرد الله بالعبادة ويجتنب كل ما كان شركًا. فمن فعل هذا ووحَّده تعالى فلا يجوز لأحد أن يرميه بالشرك.

أسباب اختيار الموضوع:

ظهر قديمًا وحديثًا من قال إن من الشرك المنافي لتوحيد الله نداء ودعاء غير الله تبارك وتعالى، وبنى على هذا أن من نادى فقال: "يا محمد" فقد أشرك. وبما أن مثل هذا النداء منتشر في بلاد المسلمين وصل بعض المخالفين إلى ادعاء "أن أكثر علماء الأمصار لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقر به المشركون"[1]، ولا يخفى ما في هذا الاتهام من الخطورة والتكفير بغير حق. وقد بنى القائلون بهذا القول دعواهم على زعم أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، وذُكر هذا في الكتاب المسمى "فتح المجيد" الذي يعتبر من أشهر شروحات الكتاب المسمّى "التوحيد" لمحمد بن عبد الوهاب[2]. ومع أن العلماء

[1] عبد الرحمن بن حسن، الكتاب المسمى فتح المجيد، ص 76.

[2] قال مسعود الندوي: "ولكن بروكلمان غفل عن ذكر أهم الشروح وهو فتح المجيد". مسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب، ص136.

تصدَّوا للرد على دعوى التكفير هذه، لكن لم أرَ من تكلم في نقض ادِّعاء التلازم والتضمُّن اللغوي بين الدعاء والعبادة، فكان البحث في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

- **"الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية"**، أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. تكلم فيه المصنف على الدعاء عمومًا، وتكلم في اللغة بما يوافق قول من كفَّر من استغاث بغير الله.
- **"من ألفاظ العبادة في معجم مقاييس اللغة دراسة في ظاهرة التضييق الدلالي"**، حوراء غازي عناد السلامي، العدد 74، سنة 2023: مجلة الكلية الاسلامية الجامعة. تكلمت فيه الباحثة على التضييق الدلالي وأسماء بعض العبادات كالصلاة والصوم والحج والعمرة، لا على معاني العبادة اللغوية.
- **"ديناميكيّة العلاقة بين التّوحيد والشّفاعة في القرآن الكريم"**، جواد الخاتمي وسمية الخاتمي، مجلة الأستاذ، العدد 225، سنة 2018. بيّن البحث أنه لا يلزم من النداء والدعاء العبادة، وردّ على تقسيم الوهابية للتوحيد وادعائهم أنّ المشركين كان عندهم توحيد الربوبية. لكن لم يتعرض للكلام على المعنى اللغوي.
- **"معنى العبادة في القرآن الكريم بين التأله والخضوع"**، عبد الحليم كل أحمدي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 11، سنة 1988. بيَّن الباحث فيه معنى العبادة ذاكرًا اختلاف عبارات اللغويين والمفسرين في ذلك وأنه ليس كل تذلل وكل تعظيم عبادة، ولم يتكلم على النداء والدعاء.

خطة البحث:

مقدمة

أهمية الموضوع

أسباب اختيار الموضوع

الدراسات السابقة

خطة البحث

المبحث الأول: بيان معنى العبادة والدعاء والدلالة وأقسامها.

المبحث الثاني: النقد اللغوي لإطلاق أن نداء غير الله عبادة للمنادى.

خاتمة وتوصيات

المبحث الأول:

بيان معنى العبادة والدعاء والدلالة وأقسامها:

بيان معنى العبادة:

- قال اللّغويّ الزّجّاج: معنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، يقال هذا طريق معبَّد إذا كان مُذللاً بكثرة الوطء، وبعيرٌ مُعبَّدٌ إذا كان مطليًّا بالقَطِرَان، فمعنى: إيّاك نطيع الطاعة التي يخضع معها[3]. ونقل هذا عنه اللّغويّ الأزهريّ موافقًا له[4]، وقال مثلهما الفرَّاء[5].

-وقال ابن سيده[6]: "وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عبادة، والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقُّه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر".

- وقال الرّاغب الأصبهانيّ في العبادة: "غاية التذلّل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى"[7]، كما يُفهم ذلك من كلام شارح القاموس محمّد مرتضى الزّبيديّ خاتمة اللّغويّين.[8]

---

[3] الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج1، ص48.

[4] الأزهريّ، تهذيب اللغة، ج2، ص138.

[5] الفرّاء، معاني القرآن، ج3، ص198.

[6] ابن سيده، المخصص، ج13، ص96.

[7] الراغب الأصبهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ص542.

[8] مرتضى الزبيديّ، تاج العروس، ج8، ص331.

- وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزيّ معرِّفًا العبادة: "الأصل في العبادة: الذلّ. يقال: طريق معبّد، أي: مذلّل. وعبادة الله تعالى: الذلّ له بالانقياد لما أمر والانتهاء عما نهى. وحدَّ بعضهم العبادة فقال: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلّل والخضوع، والمجاوزة لتذلّل بعض العباد لبعض"[9]، فهذا في منتهى الصراحة من الفقيه الحنبليّ أنّ العبادة ليست مطلق التذلّل، حيث إنّ قوله: "نهاية ما يمكن من التّذلّل والخضوع" صريح في أنّها خاصّة بنهاية التّذلّل.
- وقال التّقيّ السّبكيّ: العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلّل[10].

فتبيّن أنّ العبادة عندهم وإن اختلفت ألفاظها إلا أنّه يجمعها معنى غاية الخشوع والتذلل، وأن مجرد التذلل لا يكون عبادة، ومجرد التعظيم ليس عبادة

بيان معنى الدعاء:

للدعاء معاني عديدة في اللغة بيَّنها اللغويون، منها:

- العبادة[11]، كما في قوله تعالى: "إنَّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم"[12].
- طلب الطالب للفعل من غيره[13]، كما في قوله تعالى: "هنالك دعا زكريا ربَّه"[14].
- الرغبة إلى الله[15]، ومنه قوله تعالى: "ادعوا ربَّكم تضرُّعًا وخفية"[16] [17].
- النداء[18]، كما في قوله تعالى: "ولا تسمع الصمّ الدعاء"[19].

---

[9] ابن الجوزيّ، نزهة الأعين، ص431.

[10] تقي الدين السبكيّ، فتاوى السبكيّ، ج1، ص10.

[11] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج5، ص265. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص235. الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص600.

[12] سورة الأعراف، الآية 194.

[13] ابن سيده، المخصص، ج4، ص57.

[14] سورة ءال عمران، الآية 38.

[15] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص325. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص257.

[16] الزبيدي، تاج العروس، ج38، ص46.

[17] سورة الأعراف، الآية 55.

[18] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص325 ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص257. الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص601.

[19] سورة النمل، الآية 80.

- الاستغاثة[20]، كما في قوله تعالى: "وادعوا شهداءكم"[21]، وكقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليًا فادع المسلمين، ومعناه استغث بالمسلمين[22].
- القول[23]، كما في قوله تعالى: "فما زالت تلك دعواهم"[24]، أي قولهم.
- الإيمان[25]، كما في قوله تعالى: "ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم"[26]، أي إيمانكم.

بيان معنى الدلالة وأقسامها:

الدلالة مصدر دلَّ، تقول: دلَّ عليه دلالة إذا سدَّده إليه وعرَّفه به[27]. والدلالة: هي كون اللفظ بحيث إذا أُطْلِق، أو تُخُيِّل، فَهِم منه المعنى من كان عالمًا بالوضع[28].

وهي منقسمة إلى: دلالة المطابقة، دلالة التضمن ودلالة الالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن إن كان له جزء، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى أحدهما بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام. فاللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه، ولازمه إن كان داخلا في المسمّى فهو التضمن، وإن كان خارجًا فهو الالتزام[29].

فعلى هذا:

---

[20] الفراء، معاني القرءان، ج1، ص19. الأزهري، تهذيب اللغة، ج3، ص76. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص257.

[21] سورة البقرة، الآية 23.

[22] الفراء، معاني القرءان، ج1، ص19. الأزهري، تهذيب اللغة، ج3، ص76. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص257.

[23] الفرّاء، معاني القرآن، ج2، ص200. الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص601.

[24] سورة الأنبياء، الآية 15.

[25] البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص11. العيني، عمدة القاري، ج1، ص117.

[26] سورة الفرقان، الآية 77.

[27] الأزهري، تهذيب اللغة، ج14، ص48. الفيروزابادي، القاموس المحيط، ص1000.

[28] التاج السبكي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج1، ص 352. الجرجاني، التعريفات، ص104. المناوي، التوقيف على مهمّات التعاريف، ص167.

[29] التاج السبكي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج1، ص 352-353. المناوي، التوقيف على مهمّات التعاريف، ص167. الزبيدي، تاج العروس في شرح القاموس، ج28، ص498.

- دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.
- دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، كدلالة الإنسان على الناطق، ودلالة البيت على السقف.
- دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على ما يلزمه في الذهن، كدلالة الإنسان على القابل للعلم، ودلالة لفظ السقف على الجدران.

المبحث الثاني:

النقد اللغوي لإطلاق أن نداء غير الله عبادة للمنادى:

أطلق محمد بن عبد الوهاب اعتبار دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله شركًا، وذكر آيات وردت في المشركين الذين عبدوا ودعوا غير الله، وآيات فيها ذكر دعاء المسلمين الله وعبادتهم له، فقال في كتابه المسمى "التوحيد" ما نصه: "باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره"... ثم ذكر آيات منها: قول الله تعالى: "ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادَّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم"[30]، وقوله: "إنَّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون"[31]، وقوله: "ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين"[32]، وقوله: "أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله"[33].

ثم ذكر شارح الكتاب ادِّعاء التلازم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة فقال[34]: "اعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة; ودعاء مسألة، ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما"... ثم قال ناقلًا عن ابن

---

[30] سورة يونس، الآية 106-107.

[31] سورة العنكبوت، الآية 17.

[32] سورة الأحقاف، الآية 5.

[33] سورة النمل، الآية 62.

[34] عبد الرحمن بن حسن، الكتاب المسمى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص166، 167.

تيمية: "فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قال الله تعالى: "ادعوا ربَّكم تضرعًا وخفية إنَّه لا يحب المعتدين"[35]، وقال تعالى: "قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون"[36]، وقال تعالى: "وأنَّ المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدًا"[37]، وقال تعالى: "له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال"[38]، وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أن يحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه، طالب من الله في المعنى، فيكون داعيًا عابدًا".

وفي هذا الكلام تناقض قد لا يقِفُ عليه من لا يعرف معنى دلالة التضمن والالتزام، فقد قال الشارح ناقلًا كلام ابن تيمية: "فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة"، وعلى هذا، فنظرًا لتعريف دلالة الالتزام، يكون دعاء العبادة ليس دعاء المسألة، ولا جزأَه، ثم قال: "وكل دعاء مسألة متضمِّن لدعاء العبادة" وعلى هذا، نظرًا لتعريف دلالة التضمن، فدعاء المسألة هو سؤال وعبادة، وهذا معناه أن دعاء العبادة جزء دعاء المسألة، وهذا يخالف قول ابن تيمية السابق حيث اعتبر دعاء العبادة مستلزمًا لدعاء المسألة لا متضمِّنًا له. وصار هذا الكلام كقول القائل: السقف يستلزم الجدران، فالجدران ليست السقف ولا جزأه، ثم يقول: والجدران متضمن السقف، فالسقف جزء الجدران، وبين القولين تعارض.

وعلى قول ابن تيمية، لفظ الدعاء يتضمن معنى العبادة كما أن لفظ البيت يتضمن معنى الجدران، أو لفظ الدعاء مستلزم لمعنى العبادة، كما أن لفظ السقف يستلزم معنى الجدران. ولا وجه لأي من هذين الادِّعاءَين.

فإذا رجعنا إلى معنى دلالة التضمن، فإنها دلالة اللفظ على جزء معناه[39]، كدلالة لفظة البيت على السقف، فإنه جزء من البيت، أو تقول: دلالة التضمن هي: إفهام اللفظ للسامع مع جزء المسمّى، كإفهام لفظ العشرة

---

[35] سورة الأعراف، الآية 55.

[36] سورة الأنعام، الآية 40.

[37] سورة الجن، الآية 18.

[38] سورة الرعد، الآية 14.

[39] القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج4، ص1733. السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، ج1، ص120.

السامع له الخمسة منه[40]، ففي دلالة التضمن يكون المدلول داخلًا فيما وُضع له اللفظ[41]. وقد ذكرنا معاني الدعاء لغة، ومعاني ما ورد في القرءان للفظ الدعاء، وليس فيها كلها ما يتضمن معنى العبادة.

وإن زعموا أن هذا من باب دلالة الالتزام، فهو مرتبط بمعنى العبادة ارتباطًا ذهنيًّا أو عقليًّا، فهذه في الحقيقة دعوى بلا دليل، فإن دعاء المسألة لا يلزم منه العبادة. فمن دعا ونادى رسول الله صلّى الله عليه وسلم يسأله الدعاء لم يعبده، ولم يطلب منه ما لا يكون إلا للخالق، فإنه لم يطلب منه أن يخلق، ولا أن يغفر له ذنبًا.

وإطلاق ابن تيمية: "فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة" غير مقبول. معنى كلامه انه لا يكون دعاء عبادة الا وفيه مسألة وهذا ليس مسلَّمًا. هذه دعوى نفي عامّة، فهو يدَّعي أنه لا يوجد من يدعو دعاء عبادة إلا وهو يسأل، ودعوى النفي العامّة هذه لا تقبل، فإنَّ النفي العام يحتاج إلى استقراء تام، ومن ادَّعى النفي، لا سيَّما العامّ، فهو المطالب بالدليل[42]. فنحن لا نسلم ان دعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، إذ قد يقول المسلم يا الله وهو يريد أنا أحبُّك يا الله، ولا يريد بهذا الآن سؤالًا.

فغاية الأمر أن ما سمَّوه دعاء العبادة هو عبارة عن دعاء مع عبادة فهو مجموع أمرين دعاء لساني وتذلُّل قلبي، والمراد غايته، فحيث اجتمع الأمران صار دعاء وعبادة وعندهم دعاءَ عبادةٍ. ولا يلزم من وجود الدعاء وجود هذا التذلل كما هو مدَّعانا في دعاء النبي أو غيره من العباد هو دعاء لساني خلا عن هذا التذلل القلبي. ونظير ذلك قولنا في الصلاة المثاب صاحبُها إنها أفعال وأقوال بدنية مع خشوع قلبي، ولا يلزم من وجود هذه الأفعال البدنية وجود الخشوع القلبي وهو ظاهر.

ثم قال شارح الكتاب: فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة وقد قال تعالى عن خليله: "وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا"[43] فصار الدعاء من أنواع العبادة، فإن قوله: "عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا"[44] كقول زكريا: "قال

---

[40] القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج2، ص546.

[41] القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج2، ص549.

[42] الأبياري، التحقيق والبيان في شرح البرهان، ج4، ص187.

[43] سورة مريم، الآية 48-49.

[44] سورة مريم، الآية 48.

ربِّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيًّا"[45]. وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله: "ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمت الله قريب من المحسنين"[46]. وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة؛ فإن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل".

فبيَّن الشارح في ءاخر كلامه أن الأمر في اعتبار الدعاء عبادة راجع إلى ما في قلب الداعي من الخضوع والتذلل. وقد سبق البيان من كلام اللغويين أنه ليس كل خضوع عبادة، ولا كل تذلل، بل الأمر مداره حول بلوغ ذلك الغاية والنهاية، وهذا راجع إلى اعتقاد الشخص. ومن إساءة الظن بالمسلمين أن يدَّعى أن من نادى رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان في قلبه نهاية التذلل له، لا سيَّما وقد بيَّنَّا معاني العبادة والدعاء وأنهما غير متلازمين.

وانظر إلى عبارة الإمام الأزهري اللغوي المشهور، فإنه قال[47]: " وهو كقولك للرجل: إذا لقيتَ العدوَّ خاليًا فادعُ المسلمين، ومعناه استغث بالمسلمين. فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة. وقد يكون الدعاء عبادة، ومنه قول الله عز وجل: "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم"[48] أي الذين تعبدون من دون الله". فبيَّن أن الدعاء يأتي بمعنى الاستغاثة، وأن هذا غير إتيانه بمعنى العبادة. وقال مثله ابن منظور اللغوي صاحب اللسان.

وقال الزَّجَّاج[49]: وقوله: "ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحبُّ المعتدين"[50]، قال قوم: تضرعوا تملقًا، وحقيقته والله أعلم أن يدعوه خاضعين متعبدين، و"خفية" أي اعتقدوا عبادته في أنفسكم، لأن الدعاء معناه العبادة". فانظر كيف ردَّ الأمر إلى اعتقاد الشخص حتى يعتبر الدعاء عبادة.

نعم، من سأل الله تعالى أو ناداه فقد عَبَدَه، فإنه يسأله تعالى تلبية لأمره، معتقدًا أنه مؤدٍّ لعبادة، وأنه يسأل من لا يغيب عنه شيء، ولا يحصل إلا ما يريد، وهو وحده الخالق، فكان في ندائه غاية الخشوع والخضوع

---

[45] سورة مريم، الآية 4.

[46] سورة الأعراف، الآية 55-56.

[47] الأزهري، تهذيب اللغة، ج3، ص76. ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص257.

[48] سورة الأعراف، الآية 194.

[49] الزجاج، معاني القرءان وإعرابه، ج2، ص344.

[50] سورة الأعراف، الآية 55.

الذي هو عبادة. والآيات التي أوردها صاحب الأصل والشارح إنما هي في ذكر دعاء المشركين ءالهتهم، أو دعاء الله تعالى، وهذا نُسَلِّم أنه متضمن لمعنى العبادة. فالأمر كما قال الشيخ أحمد زيني دحلان في محمد بن عبد الوهاب[51]: «وتمسَّك في تكفير المسلمين بآيات نزلت في المشركين، فحَمَلَها على المُوَحِّدين".

[51] أحمد زيني دحلان، الدرر السنية في الرد على الوهابية، ص82.

كما قال شارح الكتاب[52]: "وضابط هذا: أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: "قل الله أعبد مخلصًا له ديني"[53].

وما جعله المؤلف ضابطًا لا يستقيم، لا لغة ولا شرعًا ولا عرفًا، وينقضه أشياء كثيرة، فقد أمر الله تعالى العباد أن يشكروه، وجعل ذلك عبادة له، وأَمَرَ أن يشكرَ العبدُ من أحسن إليه كالوالدين، فهل يقول قائل إنَّ من شكرَ أهله أو من أحسن إليه من الناس يكون عابدًا لهم؟! وقد قال الله تعالى: "أنِ اشكُر لي ولوالديك"[54]، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم[55]: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله". فإن كان جوابهم أن شكر الناس لا يتضمَّن عبادتهم، قلنا وكذلك نداء الشخص النبيَّ صلّى الله عليه وسلم لا يتضمن عبادته، فإن قالوا: ورد في الشرع شكرُ الناس، قلنا: وورد في الشرع نداء رسول الله صلّى الله عليه وسلم، كما دلَّ عليه حديث الأعمى[56]، وقولُ المسلم في صلاته: "السلام عليك أيها النبيّ"[57].

---

[52] عبد الرحمن بن حسن، الكتاب المسمى فتح المجيد، ص 167.

[53] سورة الزمر، الآية 14.

[54] سورة لقمان، الآية 14.

[55] الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البرّ والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، الحديث (2070)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الترمذيّ: "هذا حديث حسن".

[56] عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِّنْفِسة وقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فأْتِنا، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال: له جزاك الله خيرا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلمتَه فيَّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير، فشكا عليه ذهاب بصره، فقال: له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أفتصبر؟"، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد، وقد شق عليَّ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات". قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط. قال الطبراني: "والحديث صحيح". الطبراني، المعجم الصغير، ج1، ص306.

[57] البخاري، صحيح البخاري، الحديث (797)، كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخِرة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. مسلم، صحيح مسلم، الحديث (55)، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

خاتمة:

النتائج:

- العبادة هي أقصى غاية الخشوع والخضوع، ومن صرف هذا لغير الله كان مشركًا.
- من صور العبادة النداء المقرون بنهاية التذلل، وهو ما أخبر الله عنه من أفعال المشركين وندائهم لما اتخذوه آلهة.
- ليس مجرد نداء نبيٍّ بنحو قول "يا محمد" عبادة له، ولا يكون هذا شركًا.
- لا يتضمن كل نداء معنى العبادة، وليس ملازمًا لها.
- تكفير المسلم القائل "يا محمد" باطل، لا يشهد له الدين ولا اللغة.

توصيات:

- نشر الدعاة المفاهيم الإسلامية الصحيحة البعيدة عن الإفراط والتفريط.
- التذكير دومًا بأهمية فهم اللغة والرجوع إلى المصادر التي تؤخذ منها المعاني قبل إطلاق الأحكام.
- تشديد الرقابة اللغوية والدينية على المطبوعات لتجنب نشر ما فيه دعوة إلى التكفير شبه الشمولي الذي لا تخفى خطورته على الأفراد والمجتمعات.

المراجع والمصادر

- ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن علي. (1404هـ-1984م). *نزهة الأعين*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (1417هـ-1996م). *المخصَّص*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. (1421هـ-2000م). *المحكم والمحيط الأعظم*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ-1993م). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.
- الأبياري، علي بن إسماعيل. (1434هـ2013م). *التحقيق والبيان في شرح البرهان*. (ط1). الكويت: دار الضياء.
- أحمد زيني دحلان. (1424هـ-2003م). *الدرر السنية في الرد على الوهابية*. (ط1). دمشق: مكتبة الأحباب.
- الأزهري، محمد بن أحمد. (1422هـ-2001م). *تهذيب اللغة*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ-2001م). *صحيح البخاري*. (ط1) لبنان: دار طوق النجاة.
- التاج السبكي، عبد الوهاب بن علي. (1419هـ-1999م). *رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب*. (ط1). بيروت: عالم الكتب.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (1395هـ-1975م). *سنن الترمذي*. (ط2). مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- التميمي، عبد الرحمن بن حسن. (1377هـ-1957م). الكتاب المسمى *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*. (ط7). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
- الجرجاني، علي بن محمد. (1403هـ-1983م). *التعريفات*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الراغب الأصبهانيّ، الحسين بن محمد. (1412هـ-1991م). *المفردات في غريب القرآن*. (ط1). دمشق بيروت: دار القلم، دار الشامية.
- الزبيدي، محمد بن محمد. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (د.ط). د.م: دار الهداية.

- الزجّاج، إبراهيم بن السري. (1408هـ-1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. (ط1). بيروت: عالم الكتب.
- السبكي، عبد الله بن علي. (1416هـ-1995). *الإبهاج في شرح المنهاج*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- السبكي، علي بن عبد الكافي. (د.ت). *فتاوى السبكي*. (د.ط). د.م: دار المعارف.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. (1405ه-1985م). *المعجم الصغير*. (ط1). عمان: دار عمار.
- العيني، محمود بن أحمد. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفرّاء، يحيى بن زياد. (د.ت). *معاني القرآن*. (ط1). مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفيروزابادي، محمد بن يعقوب. (1416هـ-1996م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. (د.ط). القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث العربي الإسلامي.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (1426هـ-2005م). *القاموس المحيط*. (ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرافي، أحمد بن إدريس. (1416هـ-1995م). *نفائس الأصول في شرح المحصول*. (ط1). د.م: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- مسلم بن الحجّاج. (د.ت). *صحيح مسلم*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المناوي، عبد الرؤوف بن تاح العارفين. (1410هـ-1990م). *التوقيف على مهمات التعاريف*. (ط1). القاهرة: عالم الكتب.
- الندوي، مسعود. (1404هـ-1984م). *محمد بن عبد الوهّاب*. (د.ط). الرياض: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة الإمام محمد بن سعود.